مقدمة

شهد العالم منذ منتصف القرن العشرين وحتي مطلع الألفية الثالثة عدد من المتغيرات العالمية بعد زيادة الحركات التحررية وإنهاء التفرقة العنصرية في جنوب إفريقيا وسقوط حائط برلين وتفكك الاتحاد السوفيتي، والتحول التدريجي من نظام عالمي ثنائي القطبية إلي نظام أحادي القطبية، وانتشار مفهوم العولمة والخصخصة والشركات متعددة الجنسيات والمنظمات العالية عابرة القارات والتي أصبح لها مواطنوها المنتمون إليها، بالإضافة للتقدم التقني والتكنولوجي ووسائل الاتصال؛ مما ساهم في تجاوز حدود الزمان والمكان وأصبح العالم كله يعيش جنبا إلي جنب كأنه يعيش في قرية صغيرة.

وتعتبر العولمة بمثابة عملية تمتد عبر العديد من القرون وتتأثر بنمو السكان ومعدلات ازدهار الحضارة، فهي تلك العملية التي يتم من خلالها تعزيز الترابط بين شعوب العالم في إطار مجتمع واحد، بتحويل الظواهر المحلية أو الإقليمية إلى ظواهر عالمية، ويؤكد معن خليل العمر في كتابه قضايا اجتماعية معاصرة أنها تستهدف كيانات ثلاثة هي الدولة والأمة والوطن، وتسحب هذه الكيانات تدريجيا لتحل محلها الإمبراطوريات العالمية والتي ترتكز علي ركائز ثلاثة هي:

- الشركات متعددة الجنسيات
- البشر في كل مكان من الكرة الأرضية القادرون علي الاستهلاك.
- الفضاء السيبرنيتي وهو وطن جديد بدون حدود تتبناه شركات الاتصال المعلوماتية الالكترونية.

وتعد قضية المواطنة والهوية في علاقتهما بالعولمة من أخطر القضايا علي المستويات العالمية والإقليمية والمحلية، نظرا للجدل الدائر والصدام بين أنصار الأصولية الثقافية ودعم الهوية القومية، وأنصار الاتجاه العالمي والمناداة بالمواطنة العالمية، والمواطنة في هذا المستوى ترتبط بوطن مجرد ينفلت من قيود مجسدة

ومحددة للوطن التقليدي، وهى تجرى على مبادئ وقيم وطنية مجـــردة فـــي الغالـــب، وفكرة الكوزوموبوليتانية "Cosmopolitanism" وهى تعبر عن مـــذهب يعتمـــد الكـــرة الأرضية كلها موطناً للمواطنين.

وقضية المواطنة واحدة من أبرز القضايا المطروحة على طاولة الحوار السياسي في الوقت الراهن، إذ ترتبط ارتباطًا وثيقًا بما يجرى من تحولات وإصلاحات سياســـية واجتماعية تستهدف بناء المجتمع الديمقراطي، في ظل **ثورة شعبية** تحتاج إلي مشاركة فعالة في ظل وعى اجتماعي عام يعانى الكثير من مظاهر الضعف وفقدان الثقة، الأمر الذي يلقى بعبء ضخم على التربية بوصفها المسئولة عن تشكيل هذا الـــوعي، وعـــن إعداد أفراد المجتمع للمواطنة، في ظل المتغيرات والتحديات التـــي تواجـــه المجتمـــع المصري.

ويعد إعداد المواطن الفعال الواعي بمشكلات وطنه، والقادر علي تحقيق أهدافـــه التنموية والمشارك بفاعلية في إصلاحاته الاقتصادية والاجتماعيـــة والـــسياسية، أحـــد الأهداف الأساسية لأي مجتمع حر، وأهم ســـبل مواجهـــة تحـــديات القـــرن الحـــادي والعشرين، فالتقدم الحقيقي في ظل متغيرات القرن الجديد ومستجدياته تصنعه عقـــول وسواعد مواطنين فعالين، ولما كانت مؤسسات التعليم هي المصنع الحقيقـــي لإعـــداد الطلاب وتأهيلهم للانخراط بفاعلية في المجتمع، فقد وجب أن يتحمل الجزء الأكبر من بناء وتطوير منظومة المواطنة؛ بالعمل الجاد الهادف إلي حسن إعداد النشء تعليميـــا وتربويا من خلال منظومة تعليمية متكاملة ومتطورة.

وهكذا يمكن القول أننا نعيش عصرا جديدا عصر الحرية، وترتبط المواطنة فـــي هذا المستوى بوطن مجرد لا يتقيد بحدود الوطن التقليدي، وهى تجرى علـــى مبـــادئ وقيم وطنية مجردة في الغالب، وبذلك تم استبدال الهوية السياسية التي ترتبط بمجـــال ثقافي محدد في مجتمع محدد، بالهوية المدنية القائمة على مفاهيم مجردة ومبادئ عامة.

ويمكن وصف أهمية التعليم والمواطنة لتحقيق مطالب الثورة من خـــلال الـــشكل الآتي:

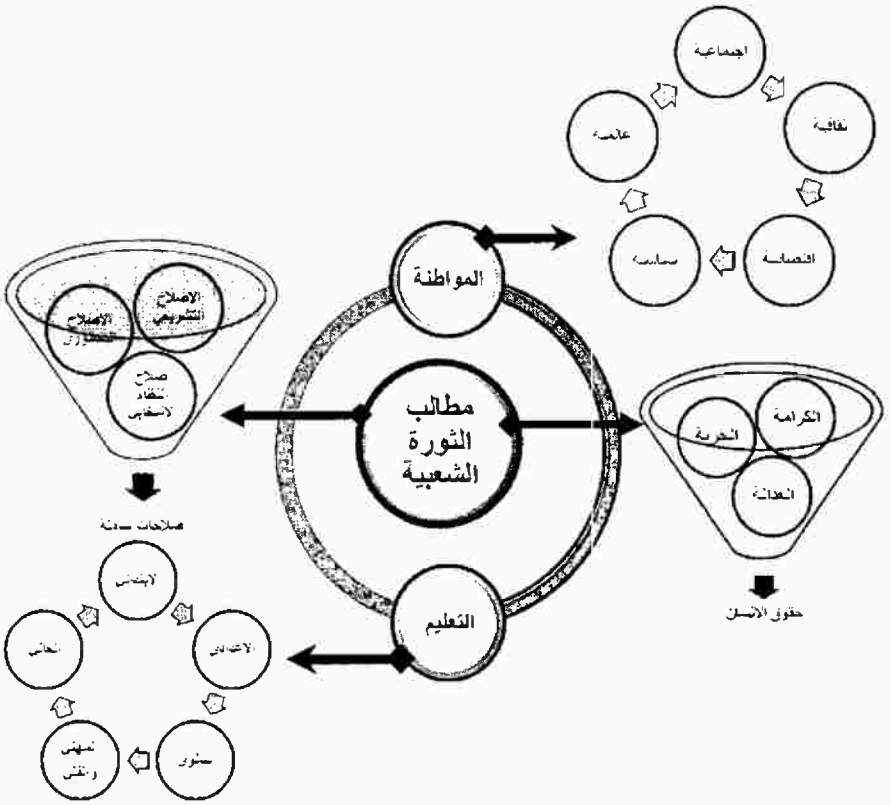

شكل (١)

التعليم والمواطنة هما ركيزة الثورة الشعبية من إعداد المؤلفة

يوضح الشكل السابق أن تحقيق المواطنة بأبعادها المختلفة – والتي سيتم تناولها في فصول هذا الكتاب – وتطوير التعليم بمراحله المختلفة هما الضمان الأكيد لتحقيق مطالب الثورات الشعبية في الدول العربية وثورة ٢٥ يناير في مصر، والمتمثلة في تحقيق مبادئ حقوق الإنسان؛ لتحقيق الحرية، والكرامة، والعدالة، وإحداث الإصلاحات الشاملة اجتماعيا، واقتصاديا، وثقافيا، وسياسيا، بالبدء في إصلاح النظام الانتخابي، بالإضافة للإصلاح الدستوري، والإصلاح التشريعي، وسيتم تناول هذه المطالب والإصلاحات في الفصل السابع من الكتاب.

وقد اهتمت الدول المتقدمة بالتربية للمواطنة الديمقراطية المستندة على حقوق وواجبات المواطنين من خلال مشروع التربية للمواطنة، يهدف إلى غرس القيم

والمواقف الإيجابية في الشباب تجاه المشاركة الايجابية في المجتمع المحلي والإقليمي والعالمي.

واهتمام مصر والدول العربية بالتعليم للمواطنة جاء مع حركات الاستقلال والثورات التي شهدتها المنطقة العربية بما تحمله من أيديولوجيات جديدة وخدمة لمصالح الشعب وتوسع فى مشروعات الخدمة والتنمية، وظهور الطبقة الوسطى الوطنية؛ مما يدفع إلى مزيد من الاهتمام بالتعليم العام، كما حدثت بعض التغييرات في فلسفة المناهج ومحتواها، وأصبح التعليم باللغة العربية وأضيفت مواد جديدة مثل التربية الوطنية مع الاهتمام بالتاريخ القومي لكل دولة عربية مستقلة، والاهتمام الكبير بنشر التعليم وترسيخ مبدأ إتاحة التعليم الوطني لأفراد المجتمع العربي والدفاع عن الحق في التعليم للجميع بوصفه بداية حقيقية للوصول للتعليم للمواطنة خلال فترة هامة من فترات النضال العربي لنيل أبناء المجتمعات العربية لحقوقهم كاملة والاعتراف بحقوق المواطنة.

والحروب التي شهدتها مصر والمنطقة العربية وموجات العنف المتتالية والمد الديني المتطرف فضلاً عن مشكلات الحياة اليومية وضبابية صورة المستقبل، ويري الأستاذ مصطفي الفقي في كتابه الدولة المصرية والرؤية العصرية (من فقه المراجعة إلى فكر المستقبل) أن هذه الحروب قد أثرت في مجملها في حياة البشر، وجعلت الإحباط واليأس والعبوس سمات عامة لم تكن بهذا الحجم من قبل، وقد أثر التعليم في المدى البعيد والإعلام فى المدى القصير تأثيرات سلبية في تكوين الشخصية المصرية وسحبا منها جزءاً كبيرًا من الرصانة والمصداقية والشفافية، وحالة السكون التي تميزت بها العقود الأخيرة قد خلقت نوعًا من تمرد الناس على الحقيقة واستسلامهم للواقع، ودخول نسبة كبيرة منهم في غيبوبة سياسية واضطراب أخلاقي انعكس على ضعف المشاركة العامة، واختفاء الليبرالية الاجتماعية وشيوع التزمت والتشدد في كثير من القطاعات مما كان له أثره على تكوين المواطن.

وبذلك فمسئولية تحديد تعريف واضح للمواطنة، يتطلب تحديد منظور التعامل مع المواطنة في دولة ما وخلال لحظات تاريخية محددة واضحة، سواء كان هذا المنظور سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً، ولذلك فمن المهم التعامل مع مفهوم المواطنة في

مصر وغيرها من الدول العربية من منظور تاريخي يوضح التغير الحادث في هذا المفهوم خلال فترات متتابعة، بداية من الاستقلال الفعلي وحتى مطلع الألفية الثالثة في وجود ثورة شعبية حقيقية، وتقديم رؤية مستقبلية للتعليم للمواطنة خلال القرن الحادي والعشرين وخصوصا مع التغيرات السريعة المتلاحقة وتداعيات عصر العولمة والانتقال من العولمة من أعلي إلي العولمة من أسفل، ومن الدول القومية إلي ما بعد القومية.

وتعرض الباحثة من خلال هذا الكتاب وفي أبوابه المتنوعة تعريف المواطنة وتطورها والتفرقة بينها وبين الكثير من المفاهيم الاجتماعية والسياسية، وكذلك استيعاب معني التعليم للمواطنة ومنهج المواطنة مع عرض نماذج ورؤى مختلفة للتعليم للمواطنة الفعالة في دول الاتحاد الأوربي وبريطانيا والصين وتايوان واليمن وإسرائيل، وذلك في البابين الأول والثاني.

بينما تم تخصيص البابين الثالث والرابع لدراسة العوامل الفاعلة في تشكيل مفهوم المواطنة من منتصف القرن العشرين وحتى مطلع الألفية الثالثة، وتطور التعليم وفقا لهذه التغيرات في مصر بوصفها نموذجا متأثراً بالعوامل السابقة.

وقد تم تخصيص الباب الخامس لدراسة سيناريوهان التعليم للمواطنة في عصر الثورة والحرية؛ لتقديم رؤية مستقبلية للتعليم للمواطنة.

ونرجو أن يساعد هذا الكتاب القارئ علي أن يتعمق في فهم المواطنة وإزالة أي التباس قد يحدث بينها وبين غيرها من المفاهيم الاجتماعية والسياسية، والوصول لصيغة للتعليم للمواطنة الفعالة، وإعداد المواطنين الفاعلين في المجتمع في ظل مجتمع جديد حر، مجتمع سريع التغير والتبدل.

وأسأل الله أن يكون هذا العمل علماً نافعاً.

والله الموفق

مع تحياتي د/هديل الخولي

hmelkholy@hotmail.com